بيان المقاصد الشرعية في حفظ الدين من خلال القرآن الكريم "دراسة تحليلية"

إعداد

د. يوسف جمال حنفي عبد العال

المستخلص :

يعدّ الدين الإسلامي منهجًا شاملاً لحياة البشر ، فالدين الإسلامي يرتب حياة البشر عن طريق العبادات والمعاملات ، فلذلك وجدت الضرورات الخمس وعرفت عن طريق المقاصد الشرعية الموجودة في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي صلي الله عليه وسلم، والقرآن الكريم به مقاصد كثيرة ، ولقد تناولت في هذا البحث كيفية استخراج المقاصد الشرعية من سورة البقرة من خلال الضرورات الخمس أو الكليات الخمس ، ولقد جاءت النصوص القرآنية متوالية تترى في حفظ الدين وحمايته، وحماية كيانه، وصيانة بيضة الإسلام من أن يخدشها أي خادش، فوضع الحمى التي تحمي حظيرة هذا الدين، وصان كرامة المسلمين؛ لئلا يقع منهم ما يُغضب ربَّهم تبارك وتعالى ، من أجل ذلك جاءت نصوص كثيرة زاخرة مُزهرة تحثُّ على حفظ الدين وحمايته، وحفظ كيانه، تأسيساً وتثبيتاً لوجوده، ودفعاً ورفعاً لكلِّ ما يُقصد إليه من مجاوزة حدوده، إنَّ الآيات التي جاءت قاصدة بالحث على حفظ الدين كثيرة، سواء أكان ذلك من حيث التأكيد والتوكيد على الالتزام به والتديُّن، أو النهي عمَّا يُضادُّه من ألوان الكفر والشرك والنفاق .

Abstract:

The Islamic religion is a comprehensive approach to human life. The Islamic religion arranges human life through acts of worship and transactions. Therefore, the five necessities were found and known through the legal objectives found in the Book of God Almighty and in the Sunnah of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and the Holy Qur'an has many objectives. This research is how to extract the legitimate purposes from Surat Al-Baqarah through the five necessities or the five colleges. The Qur'anic texts came successively in preserving and protecting the religion, protecting its entity, and preserving the egg of Islam from being scratched by any scratcher. So that what would anger their Lord, Blessed and Exalted be He, does not happen from them, and for this reason many abundant and flowery texts came urging to preserve and protect the religion, and to preserve its entity, establishing and confirming its existence, and repelling and raising all that is intended for it to go beyond its limits. The verses that came intended to urge the preservation of religion are many. Whether it is in terms of emphasizing and emphasizing adherence to it and being religious, or forbidding what opposes it of the colors of disbelief, polytheism and hypocrisy.

خطة البحث

أولاً : المقدمة : وبها استعراض الباحث أسباب اختياره لهذه الموضوع ، والمنهج الذي استخدمه الباحث ، والدراسشات الستبقة ، وخطة البحث

ثانياً موضوع البحث : بيان المقاصد الشرعية في حفظ الدين من خلال القرآن الكريم

المبحث الأول : أقسام المقاصد الشرعية

المبحث الثاني : المقاصد الشرعية التي تؤدي إلي حفظ الدين

ثالثاً : الخاتمة

<u>أهمية البحث وأسباب اختياره</u>

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تؤصِّل لما يُسمى بـ(الفهم المقاصدي للقرآن الكريم وتوظيفها) وتُبين أهميته وضوابط وأثره في التفسير وتكشف عن بعض جهود المفسرين في توظيف المقاصد في فهم القرآن... فأهمية هذه الدراسة تأتي من أهمية الموضوع الذي تبحثه، وهذه الأهمية يمكن إيجازها في النقاط التالية:

١- هذا الموضوع يتعلق بالضوابط العلمية والمنهجية لفهم القرآن الكريم وتدبره؛ فالمقاصد من قطعيات الشريعة، ومن الممكن أن تشكّل دليلاً للاستنباط من آيات القرآن، بشرط أن لا يرد فيها نص صحيح صريح يتعارض مع ذلك المقصد.

٢- قد يقع التعارض الظاهري بين النصوص القرآنية؛ فيقع كثير من الناس في الزلل نتيجة إغفال مراعاة قصد الشارع، أو لعدم المعرفة به.

٣ – إن مقاصد الشريعة تمثل ثوابت الإسلام وأسسه العقدية والتشريعية؛ ولذلك فهي تمثل عنصر الثبات والوحدة والانسجام لحركة الفكر الإسلامي في مختلف جوانبه. ومن جهة ثانية فإن الفكر الإسلامي المعاصر أصبح عرضة لتأثيرات قوية من الفكر الغربي الحديث؛ مما يوسع من احتمالات الاختلاف والتباعد، ليس بين رواده ومدارسه فحسب، ولكن التباعد حتى عن بعض ضوابط الإسلام ومقتضياته وعن صبغته وطبيعته. ومقاصد الشريعة – بما تتضمنه وتبرزه من كليات وثوابت، ومن شمولية وتناسق في النظر إلى الأمور، ومن مراتب وأولويات–

خير مؤسس وموجه وموحد للفكر الإسلامي في مختلف القضايا التي يواجهها ويعالجها اليوم، ولا نبالغ إذا قلنا إن الفكر الإسلامي لا يكون جديراً بهذه الصفة إلا بقدر ما يتمثل مقاصد الشريعة ويصطبغ بها، ويترجمها إلى إجابات وحلول لقضايا العصر وإشكالاته وتحدياته.

٤- الفهم والتوظيف المقاصدي للقرآن الكريم له أثر كبير في تمكين المفسر من استنباط أحكامه ، توسيعاً للإدراك والفهم، واستخراجاً للأحكام المستجدة منه.

الدراسات السابقة :

ومن هذه الكتب أو الابحاث التي تتحدث عن المقاصد

- توظيف المقاصد الشرعية في تفسير القران الكريم (جزء الذاريات أنموذجا) رسالة دكتوراه في الدراسات الاسلامية / جمعة عبد الحميد سعيد سالم / نشرت ٢٠١٨
- توظيف المقاصد الشرعية في تفسير القران الكريم (سورة الاحزاب أنموذجا) رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القران /محمد فتحي حنفي / نشرت ٢٠١٩
- المقاصد الشرعية في القرآن الكريم واستنباط ما ورج منها في سورتي الفاتحة والبقرة رسالة ماجستير في أصول الفقه / رؤي بنت طلال محجوب

منهجية البحث :

لقد استخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي لتتبع المقاصد الشرعية في سورة البقرة ، كما استخدمت المنهج التحليلي لتحليل تلك المفردات وتوظيفها من خلال السورة ثم ختمت الدراسة ببعض النتائج والتوصيات

المبحث الأول : أقسام المقاصد الشرعية

قبل البدء في الضرورات الخمس يمكن أن نعرف أقسام المقاصد من حيث :

المقاصد الضرورية :هي المقاصد اللازمة التي لا بد من تحصيلها لكي يقوم صلاح الدين والدنيا، لأجل إسعاد الخلق في الدنيا والآخرة [١].

المقاصد الحاجية: هي ما تكون من قبيل ما تدعو حاجة الناس إليها أو المصلحة الواقعة في محل الحاجة، وتسمى المصلحة الحقيقية الحاجية، أو المصلحة الحاجية اختصارًا، أو الحاجة والحاجيات بشكل أوجز [٢].

المقاصد التحسينية: هي المقاصد التي تقع دون المقاصد الضرورية والحاجية، وهي التي تحسن حال الإنسان، وتكمل عيشه على أحسن الأحوال، وتتم سعادته في العاجل والآجل، وتسمى: المقاصد الكمالية أو التكميلية أو بالكماليات. وقد عرفها الشاطبي بقوله: إنها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق [٣].

المبحث الثاني : المقاصد الشرعية التي تؤدي إلي حفظ الدين

حفظ الدين يعد أكبر الكليات الخمس وأرقاها، ومعناه تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر، والرذيلة والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف [٤].

وقد استخلصت المقاصد من سور البقرة وقسمتها إلي عناصر وتفصيلها هو :

---

[١]علم مقاصد الشريعة صـ٧٩.

[٢]المرجع السابق صـ٨٦.

[٣]الموافقات (٢/١١) .

[٤]علم مقاصد الشريعة صـ٨١.

المطلب الأول : الاستمساك بالله عز وجل

قال تعالي ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]

بيان وتضويح الله عز وجل بأن الايمان والكفر بالطاغوت يكون بالاستمساك به وهذا يدل علي أن حفظ الدين والاستمساك به من المقاصد الشرعية .

وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيلي، شبهت هيأة المؤمن في ثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وثقى من حبل وهو راكب على صعب أو في سفينة في هول البحر، وهي هيأة معقولة شبهت بهيأة محسوسة [2]. وقال ابن كثير : يعني: الإيمان. وقال السدي: هو الإسلام [3]. وقال البقاعي : {فقد استمسك} على بصيرة منه {بالعروة الوثقى} أي التي لا يقع شك في أنها أوثق الأسباب في نجاته بما ألقى بيده واستسلم لربه [4].

وقال ابن رشيد : التعبير بالاستمساك يدل على أن من لم يكفر بجميع مناشئ الطغيان، ويعتصم بالحق اليقين من أصول الإيمان، فهو لا يعد مستمسكا بالعروة الوثقى وإن انتمى في الظاهر إلى أهلها، أو إلى ما بها إلمام الممسك بها، فالعبرة بالاعتصام والاستمساك الحقيقي، لا بمجرد الأخذ الضعيف الصوري، والانتماء القولي والتقليدي،

والله سميع لأقوال مدعي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله بألسنتهم عليم بما تكنه قلوبهم مما يصدق ذلك أو يكذبه، فهو يجزيهم وصفهم. فمن شهد بقوة إيمانه جميع الأسباب والسنن الكونية مسخرة بحكمة الله – تعالى – مسيرة بقدرته[5] .

---

[1] البقرة آية ٢٥٦.

[2] التحرير والتنوير (٢٩/٣).

[3] تفسير ابن كثير (٦٨٤/١).

[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٢/٤).

[5] تفسير المنار(٣٢/٣).

إذاً فقد اتفق المفسرون أن الاستمساك بالعروة الوثقي هو الإيمان والإسلام وهذا هو المقصد الشرعي من الآية الكريمة .

المطلب الثاني : حفظ الدين عن طريق الدعوة إلي الله

قال تعالي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [١]

وقال تعالي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢]

نهي الله عز وجل عن كتمان الحق وبيان عذابهم يدل علي أن الدعوة إلي الله من المقاصد الشرعية . وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : والبينات جمع بينة وهي الحجة وشمل ذلك ما هو من أصول الشريعة مما يكون دليلا على أحكام كثيرة، ويشمل الأدلة المرشدة إلى الصفات الإلهية وأحوال الرسل وأخذ العهد عليهم في اتباع كل رسول جاء بدلائل صدق[٣] . وقال ابن كثير : هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله –تعالى– لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله [٤]. وقال البقاعي : فكانت البداية خاصة وكان الختم عاماً، ليكون ما في كتاب الله أمراً على نحو ما كان أمر محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تقدمه من الرسل خلقاً لينطبق الأمر على الخلق بدءاً وختماً انطباقاً واحداً، فعم كل كاتم من الأولين والآخرين [٥]. وقال ابن رشيد : ثم إن العبرة في الآية هي أن حكمها عام وإن كان سببها خاصا، فكل من يكتم آيات الله وهدايته عن الناس فهو مستحق لهذه اللعنة. ولما كان

---

[١] البقرة آية ١٥٩.

[٢] البقرة آية ١٧٤.

[٣] التحرير والتنوير (٦٦/٢)

[٤] تفسير ابن كثير (٤٧٢/١).

[٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٧٣/٢).

هذا الوعيد وأشباهه حجة على الذين لبسوا لباس الدين من المسلمين وانتحلوا الرياسة لأنفسهم بعلمه [١].

إذاً فقد اتفق المفسرون علي أن المقصد من هذه الآية هو عدم كتمان ما أنزل الله وهذا من المقاصد الشرعية .

المطلب الثالث : حفظ كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم)

قال تعالي ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢]

تحدي الله عز وجل لمن يشك في القرآن بأن يأتي بسورة مثله يدل علي أن حفظ القرآن من المقاصد الشرعية ، وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : ووجه ذلك أن القرآن قد اشتطت ألفاظه ومعانيه على ما لو تدبره العقل السليم لجزم بكونه من عند الله تعالى فإنه جاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلهما من فحول بلغائهم، وهم فيهم متوافرون متكاثرون حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته واعترف بعضهم بأنه ليس بكلام بشر. وقد اشتمل من المعاني على ما لم يطرقه شعراؤهم وخطباؤهم وحكماؤهم، بل وعلى ما لم يبلغ إلى بعضه علماء الأمم. ولم يزل العلم في طول الزمان يظهر خبايا القرآن ويبرهن على صدق كونه من عند الله فهذه الصفات كافية لهم في إدراك ذلك وهم أهل العقول الراجحة والفطنة الواضحة التي دلت عليها أشعارهم وأخبارهم وبداهتهم ومناظرتهم [٣]. وقال ابن كثير : من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك [٤]. وقال البقاعي : فأتوا} أي على سبيل التنجيم أو غيره [١].

---

[١] تفسير المنار (٢/٤١).
[٢] البقرة آية ٢٣.
[٣] التحرير والتنوير (١/٣٣٦).
[٤] تفسير ابن كثير (١/١٩٨).

فهذه آية من أظهر آياته، وهي عجزكم عن الإتيان بسورة من مثل سور القرآن من رجل أمي مثل الذي جاءكم به، وهو عبدنا ورسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وإن عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله تساوي سورة في هدايتها، وتضارعها في أسلوبها وبلاغتها – وأنتم فرسان البلاغة، وعصركم أرقى عصور الفصاحة، وقد اشتهر كثيرون منكم بالسبق في هذا الميدان ولم يكن محمد – صلى الله عليه وسلم – ممن يسابقكم من قبل هذا البرهان؛ لأنه لم يؤت هذا الاستعداد بنفسه، ولم يتمرن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله – فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن إلا بوحي إلهي، وإمداد سماوي، لم يسم عقله إلى علمه، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه[٢] . إذاً فقد اتفق المفسرون علي أن الله تحدي المشركون أن يأتوا بسورة وهذا يدل علي أن القرآن محفظ من عند الله وهذا هو المقصد الشرعي وهو الحفظ

المطلب الرابع : حفظ الدين بالقتال والجهاد في سبيله .

قال تعالي ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [٣]

وقال تعالي ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [٤]

وقال تعالي ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [٥]

---

[١]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(١٦٢/١).

[٢]تفسير المنار (١٥٩/١).

[٣]البقرة آية ١٩٠.

[٤]البقرة آية ١٩١.

[٥]البقرة آية ١٩٣.

وقال تعالي ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١]

وقال تعالي ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]

أمر الله عز وجل للمؤمنين للقتال في سبيل الله يدل علي أن القتال والجهاد في سبيل الله من المقاصد الشرعية لحفظ الدين . وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية الكريمة فقال ابن عاشور : ولا يكون القتال إلا للأعداء فهو عام عموما عرفيا أي كتب عليكم قتال عدو الدين.والخطاب للمسلمين، وأعداؤهم يومئذ المشركون،

لأنهم خالفوهم في الدين وآذوا الرسول والمؤمنين، فالقتال المأمور به هو الجهاد لإعلاء كلمة الله، وقد كان النبيء صلى الله عليه وسلم غير مأذون في القتال في أول ظهور الإسلام، ثم أذن له في ذلك[٣] . وقال ابن كثير : أي: كما أن الحذر لا يغني من القدر كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يباعده، بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه [٤]. وقال البقاعي : {وقاتلوهم} أي هؤلاء الذين نسبناهم إلى قتالكم وإخراجكم وفتنتكم أعم من أن يكونوا كفاراً أو لا {حتى لا تكون فتنة} أي توجد فتنة بأن لا يقدروا أن يؤذوا أحداً من أهل الإسلام ليردوه عن دينه أو يخرجوه من داره أو يخلعوه من ماله أو يغلبوه على حقه، فقتال كل من وقع منه ذلك كفراً أو بغياً في سبيل الله حتى يفيء إلى أمر الله {ويكون الدين} أي الطاعة والعبادة [٥]. وقال ابن رشيد : العدوان إنما يكون على الظالمين تأديبا لهم ليرجعوا عن ظلمهم [٦].

---

[١] البقرة ٢١٦.

[٢] البقرة ٢٤٤.

[٣] التحرير والتنوير (٣١٩/٢).

[٤] تفسير ابن كثير (٦٦٢/١).

[٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٣/٣).

[٦] تفسير المنار (١٧٠/٢).

إذاً فقد اتفق المفسرون علي أن قتال المشرك والدفاع عن الدين والمال والعرض هو المقاصد الشرعية التي أوجب الله فيها القتال .

المطلب الخامس : حفظ الدين عن طريق عبادة الله ووحدانيته

قال تعالي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١]

أمر الله عز وجل الناس بعبادته وتوحيد من أهم أسباب وجود الانسان في هذه الدنيا وهذا يدل علي أن توحيد الله من المقاصد الشرعية . وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : فالمخاطب بالأمر بالعبادة المشركون من العرب والدهريون منهم وأهل الكتاب والمؤمنون كل بما عليه من واجب العبادة من إثبات الخالق ومن توحيده، ومن الإيمان بالرسول، والإسلام للدين والامتثال لما شرعه إلى ما وراء ذلك كله [٢] . وقال ابن كثير : شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة [٣].

وقال البقاعي : {اعبدوا ربكم} أي الذي لا رب لكم غيره عبادة هي بحيث يقبلها الغني. ثم وصفه بما أشارت إليه صفة الرب من الإحسان تنبيهاً على وجوده ووجوب العبادة له بوجوب شكر المنعم [٤]. وقال ابن رشيد: جاءت هذه الآية والآيات الأربع بعدها مصرحات بدعوة جميع جميع الناس إلى دين الله تعالى الحق ببيان أصوله وأسسه وهي:

(١) توحيد الألوهية بعبادة الله تعالى وحده. مع ملاحظة توحيد الربوبية.

---

[١] البقرة آية ٢١-٢٢.

[٢] التحرير والتنوير (٣٢٦/١).

[٣] تفسير ابن كثير (١٩٤/١).

[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤٢/١).

(٢) القرآن آيته الكبرى ودينه التفصيلي.

(٣) نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – المرسل بهذا القرآن[١] .

إذاً فقد اتفق المفسرون علي أن المقصد من الآية هو التوحيد الخالص لله عز وجل .

المطلب السادس : حفظ الدين ببعثة النبي صلي الله عليه وسلم

قال تعالي ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [٢]

وقال تعالي ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [٣]

إخبار الله عز وجل بأن إرسال النبي صلي الله عليه وسلم ليعلمنا الكتاب والحكمة ويعرفنا بالله عز وجل وهذا يدل علي أن بعثة النبي وإرساله للبشر من أهم أسباب حفظ الدين ، وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : والحكمة العلم بالله ودقائق شرائعه وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده، وعن مالك: الحكمة معرفة الفقه والدين والاتباع لذلك، وعن الشافعي الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] . وقال ابن كثير : يعلمهم الخير فيفعلوه، والشر فيتقوه، ويخبرهم برضاه عنهم إذا أطاعوه واستكثروا من طاعته، وتجنبوا ما سخط من معصيته [٥]. وقال البقاعي : الكامل الشامل لكل كتاب «أوتيت جوامع الكلم» {والحكمة} وهي كل أمر يشرعه لهم فيحفظهم في صراطي معاشهم ومعادهم من الزيغ المؤدي إلى

---

[١] تفسير المنار (١٥٣/١).

[٢] البقرة آية ١٢٩.

[٣] البقرة آية ١٥١.

[٤] التحرير والتنوير (٧٢٣/١).

[٥] تفسير ابن كثير (٤٤٥/١).

الضلال الموجب للهلاك [١]. وقال ابن رشيد : تعليم الكتاب والحكمة لا يكفي في إصلاح الأمم وإسعادها، بل لا بد أن يقرن التعليم بالتربية على الفضائل، والحمل على الأعمال الصالحة بحسن الأسوة والسياسة، فقال: (ويزكيهم) أي يطهر نفوسهم من الأخلاق الذميمة، وينزع منها تلك العادات الرديئة، ويعودها الأعمال الحسنة التي تطبع في النفوس ملكات الخير، ويبغض إليها القبيحة التي تغريها بالشر [٢].

إذا فقد اتفق المفسرون علي أن الله أرسل نبيه لتعليم الإسلام والأخلاق الحميدة وهذه هو المقصد لحفظ الدين .

المطلب السابع : حفظ الدين عن طريق الاهتمام بالصلاة والمحافظة عليها

قال تعالي ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [٣]

أمر الله عز وجل واضح وصريح بالمحافظة علي الصلاة يدل علي أن المحافظة علي الدين بالاهتمام بالصلاة من المقاصد الشرعية .

وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : والمراد: الصلوات المفروضة. «وأل» في الصلوات للعهد، وهي الصلوات الخمس المتكررة لأنها التي تطلب المحافظة عليها [٤]. وقال ابن كثير : يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها [٥]. وقال البقاعي : قال الحرالي: لما كان ما أنزل له الكتاب إقامة ثلاثة أمور: إقامة أمر الدين الذي هو ما بين العبد وربه، وتمشية حال الدنيا التي هي دار محنة العبد، وإصلاح حال الآخرة والمعاد الذي هو موضع قرار العبد، صار ما يجري ذكره من أحكام تمشية الدنيا غلساً نجوم إنارته أحكام أمر الدين فلذلك مطلع نجوم خطابات الدين أثناء

---

[١] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦١/٢).

[٢] تفسير المنار (٣٨٩/١).

[٣] البقرة آية ٢٣٨.

[٤] التحرير والتنوير (٤٦٧/٢).

[٥] تفسير ابن كثير (٦٤٥/١).

خطابات أمر الدنيا فيكون خطاب الأمر نجماً خلال خطابات الحرام والحلال في أمر الدنيا؛ وإنما كان نجم هذا الخطاب للمحافظة على الصلاة[١] . وقال ابن رشيد : اجتهدوا في حفظها والمداومة عليها [٢].

اتفق المفسرون علي أن المحافظة علي الصلاة في وقتها هو بيان لحفظ الدين هذا هو المقصد .

المطلب الثامن : حفظ الدين بعدم الاستهزاء به

قال تعالي وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣]

نهي الله عز وجل الناس عن الاستهزاء بآيات الله وبين في مواضع أخري عذاب من يفعل ذلك وهذا يدل علي أن حفظ الدين يكون بحفظه من الاستهزاء ، وقد وظف المفسرون المقصد لهذه الآية فقال ابن عاشور : وآيات الله هي ما في القرآن من شرائع المراجعة ، والتحذير هنا هو تحذير للناس من التوصل بأحكام الشريعة إلى ما يخالف مراد الله، ومقاصد شرعه، ومن هذا التوصل المنهي عنه، ما يسمى بالحيل الشرعية بمعنى أنها جارية على صور صحيحة الظاهر، بمقتضى حكم الشرع [٤]. وقال ابن كثير : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من قالهن لاعبا أو غير لاعب، فهن جائزات عليه: الطلاق، والعتاق، والنكاح [٥]. وقال البقاعي : أي مع ما تعلمون من عظمتها بعظمة اصبها {هزواً} بإهمالها عن قصد المصالح الذي هو زوجها [٦].

---

[١]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/٣٦٠).

[٢]تفسير المنار (٢/٣٤٦).

[٣]البقرة آية ٢٣١.

[٤] التحرير والتنوير (٢/٤٢٤).

[٥]تفسير ابن كثير (١/٦٣٠).

[٦]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣/٣٢١).

قائمة المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .

٢- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر ، تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ - عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين) .

٣- تفسير القرآن العظيم ، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، عدد الأجزاء.

٤- تفسير المنار ، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠ م ، عدد الأجزاء: ١٢ جزءا.

٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، عدد الأجزاء: ٢٢.